International Journal of Financial, Administrative, and Economic Sciences (IJFAES)
Vol. (3), No. (8)
IJFAES
August 2024
المجلة الدولية للعلوم المالية والإدارية والاقتصادية
الإصدار (3)، العدد (8)

الدبلوماسية والعمارة: علاقة تشابه أم انتفاع؟

زايد عبيد الله مصباح
أستاذ العلوم السياسية، جامعة طرابلس، ليبيا
z.saeid@uot.edu.ly

ملخص البحث

تندرج هذه الدراسة ضمن المساعي الأكاديمية التي تهدف إلى تعزيز التواصل والتعاون بين علم السياسة والعلوم الأخرى. تركز الدراسة على مناقشة وتحليل العلاقة بين الدبلوماسية والعمارة بهدف استكشاف مظاهر التشابه ونقاط الالتقاء بينهما. من خلال استخدام المنهج المقارن، أظهرت الدراسة أن هناك تماثلات وخصائص مشتركة بين الدبلوماسية والعمارة، تشمل انتماءهما للمجال السياسي، وتميزهما بمهارات التفاوض والإقناع العقلاني، بالإضافة إلى الاستخدام المشترك للرموز والاستعارات اللفظية، وتفاعلهما مع الرأي العام. كما أشارت الدراسة إلى أن كليهما ينتمي إلى حقول المعرفة العلمية، وتظهر فيهما مقاييس علمية دقيقة. وكشفت الدراسة أن العلاقة بين الدبلوماسية والعمارة تتسم بالتسخير الانتفاعي، حيث تُوجّه هذه العلاقة بشكل كبير من قبل الإرادة السياسية الأكثر تحكماً وتأثيراً.

الكلمات المفتاحية: الدبلوماسية، العمارة، التشابه، الانتفاع، الهوية الوطنية، جسور التواصل، التفاعل الثقافي.

Diplomacy and Architecture: A Relationship of Similarity or Benefit?

Zaid Obaidullah Misbah
Professor of Political Science, University of Tripoli, Libya
Z.saeid@uot.edu.ly

Research Summary

This study is part of academic efforts aimed at enhancing communication and collaboration between political science and other fields of study. It focuses on

discussing and analyzing the relationship between diplomacy and architecture, with the goal of exploring similarities and points of convergence. Through a comparative approach, the study reveals that there are notable parallels and shared characteristics between diplomacy and architecture, such as their belonging to the political sphere, their emphasis on negotiation and rational persuasion skills, and their shared use of symbols and verbal metaphors, as well as their interaction with public opinion. Additionally, the study highlights that both fields are rooted in scientific knowledge and adhere to rigorous standards. The analysis further shows that the relationship between diplomacy and architecture is characterized by utilitarian exploitation, largely driven by the more dominant and influential political will in this relationship.

Keywords: Diplomacy, Architecture, Similarity, Benefit, National Identity, Bridges of Communication, Cultural Interaction.

مقدمة

ثمة جملة من التطورات التي شهدها حقل العلوم السياسية، عموماً، على إثر الانتعاش والانفساح الذي حظي به في رحاب الثورة السلوكية **(**The Behavioral Revolution**)** [1] التي ظهرت وتألقت في الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن الماضي، وجعلت الأبواب مشرعة أمام فيض من الدراسات التي أمدت علم السياسة بروافد منهجية من علوم شتى. فقد استطاع منظّرو هذا العلم تجاوز مرحلة المناهج التاريخية والفلسفية والوصفية، ومن ثم شق طريقهم إلى آفاق كانت عصية على البحث والتحليل. فتولدت لديهم بواعث الاندفاع إلى العلوم الأخرى والاقتباس منها ومد جسور التواصل والتكامل معها بقصد السعي إلى اقتفاء أثر العلوم الطبيعية في محاولة لإثراء علم السياسة بمقترحات ونظريات تجريبية

[1] انظر في هذا الشأن: Robert A. Dahl, ⟪The Behavioral Approach in Political Science: Epitaph for A Monument to a Successful Protest, ⟫, The American Political Science Review, vol. 55, No. 4 (Dec., 11961) ,pp. 763- 772.

أكثر صرامة وارتباطاً بمعايير الإثبات المقبولة وفقاً لافتراضات العلم التجريبي[2]. وذلك بهدف تحسين فهم الظواهر السياسية وجعلها أكثر قدرة على تطويع العلوم الأخرى وتسخيرها لمآرب علمية ومقاصد نفعية.

وفي هذا الصدد ظهرت ميول وجهود بحثية في إطار دراسة مجال السياسة الحيوية ضمن مجالات العلوم السياسية، من خلال الاستعانة بعلم الأحياء لفهم السلوك السياسي فهماً علمياً. فهناك كتابات علمية عن السياسة الحيوية والقيم الدولية تهدف إلى تحسين الفهم العلمي لنظام القيم الحديثة على المستوى الفكري والمستوى الأخلاقي[3]. كما برزت دراسات أخرى منطلقة من هدف مؤداه السعي إلى تطويع معطيات الهندسة الجينية في ميدان السياسات الوطنية بقصد توظيفها في خدمة أغراض وأهداف سياسية.[4]

بعد هذه الإثارة التمهيدية بشأن اندفاع وسعي علماء السياسة إلى مد جسور التواصل والتكامل مع شتى حقول المعرفة العلمية، يبدو لنا من المناسب والمفيد تعميق وإثراء هذا المسلك العلمي الهادف نظراً لنجاعتة وأهمية فوائده المرجوة، خاصة في هذا العصر الذي تغلب عليه سمة التكامل العلمي والمعرفي في مختلف مناحي الحياة.

في هذا الصدد تهتم هذه الدراسة بمناقشة وتحليل العلاقة بين الدبلوماسية كأحد فروع العلوم السياسية والعمارة كحقل من حقول العلوم التطبيقية. فهل يمكن لنا تلمس حبل علائقي بين هذين المجالين نستكشف به طبيعة هذه العلاقة البينية التي تربط أحدهما بالآخر من حيث المظاهر والأبعاد الدلالية؟ وكيف يتسنى لنا معرفة وفهم آفاق التجاذب والتقارب ومكامن الاقتران والالتقاء في الدالة العلائقية بينهما؟ وهل يمكن القول بوجود طبيعة انتفاعية مبنية على التسخير أو التوظيف النفعي بين الدبلوماسية والعمارة؟

أهمية موضوع الدراسة

تكمن أهمية دراسة العلاقة بين الدبلوماسية والعمارة في كونها تفتح آفاقاً جديدة لفهم كيفية تأثير البنية المادية على التفاعلات السياسية والاجتماعية. فالهياكل والتصاميم المعمارية لا تعكس فقط هوية وثقافة

[2] المصدر نفسه، ص 766.
[3] من ذلك على سبيل المثال: Ralf Pettman, Biopolitics and International Values: investigating liberal Norms, (New York: Pergamon press Inc, 1981).
[4] سامر مؤيد عبد اللطيف، «التوظيف السياسي للهندسة الجينية: دراسة في الإمكانيات الواقعية والمستقبلية،»، المستقبل العربي، السنة 35، العدد 410 (إبريل 2013)، ص 12- 13.

الدول، بل تؤدي، أيضا، دورا حيويا في تهيئة أرضية الحوار والتفاهم بين الأمم وتشكيل مقومات التفاوض الناجع.

من خلال دراسة هذه العلاقة، يمكن الكشف عن الطرق التي يمكن من خلالها توظيف العمارة كأداة لتعزيز جسور التواصل والتفاهم بين الثقافات المختلفة، مما يساهم في إرساء دعائم الاستقرار والتعاون في العلاقات الدولية.

التعريف بمشكلة الدراسة

تهدف الدراسة إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين الدبلوماسية والعمارة، وذلك من خلال استكشاف مقومات هذه العلاقة من حيث مظاهرها وأبعادها الدلالية.

تسعى الدراسة إلى الإجابة على علامات الاستفهام الأساسية التالية:

هل ثمة علاقة بين الدبلوماسية كأحد فروع العلوم السياسية والعمارة كحقل من حقول العلوم التطبيقية؟

وكيف يمكن لنا معرفة وفهم آفاق التجاذب والتقارب ومكامن الاقتران والالتقاء بينهما؟

وما هي السمة الغالبة على طبيعة هذه العلاقة؟ هل هي ذات طابع انتفاعي مبني على التسخير أو التوظيف النفعي؟ ومن هو الطرف الأكثر تسخيرا لهذه العلاقة؟

وقد جاء شعوري بأهمية هذه الإشكالية من المنطلقين التاليين:

1- وجود فجوة في الأدبيات: هناك نقص أو افتقار في الأدبيات المتعلقة بالدبلوماسية والعمارة حول العلاقة بين هذين المجالين، مما يستدعي استكشاف هذه العلاقة بشكل أكثر عمقا.
2- تشابك التخصصات المعاصرة: في عالمنا المعاصر، تتداخل وتتشابك مجالات عديدة بطرق غير متوقعة، مما يكشف عن روابط عميقة بين تخصصات قد تبدو للوهلة الأولى بعيدة بعضها عن بعض.

إن هذه التساؤلات بكل مضامينها ودلالاتها استقطبت اهتمامنا وتشوقنا إلى تناول هذا الموضوع في إطار ثلاثة محاور رئيسية: الأول منها يختص بإيضاح المفاهيم. ويهتم الثاني بالقواسم المشتركة بين الدبلوماسية والعمارة من حيث التشابه في السمات والخصائص. أما الثالث فهو يناقش التوظيف الدبلوماسي للعمارة، أي العمارة كأداة دبلوماسية.

International Journal of Financial, Administrative, and Economic Sciences (IJFAES)
Vol. (3), No. (8)
IJFAES
August 2024
المجلة الدولية للعلوم المالية والإدارية والاقتصادية
الإصدار (3)، العدد (8)

أولا: إيضاح مفاهيمي

تعد عملية تبيان المفاهيم والإلمام بدلالاتها مهمة ومطلوبة في أي بحث علمي لأنها تساعد على توسيع مداركنا وتحسين فهمنا للظواهر محل الدراسة، وتمدنا بتبصرات وآفاق أوسع في البحث والتحليل. وعليه، فإن موضوع هذه الدراسة يقتضي منا، بداية، توضيح مفهوم كل من الدبلوماسية والعمارة، سواء من حيث النشأة المفهومية، أو من حيث التكيف مع السياق العام الذي يستعمل فيه والمضمون الواقعي الذي ينطبق عليه كل منهما.

1.الدبلوماسية

يرجع الأساس اللغوي لكلمة "دبلوماسية" "Diplomacy" إلى اللفظة اللاتينية ذات الأصل اليوناني "Diploma" المشتقة من الكلمة اليونانية "Diplono" بمعنى "وثيقة/ ورقة مطوية" " /Folded paper document"[5]. وقد اتسعت دلالة استعمال هذا المصطلح حتى استوعبت الوثائق الرسمية والاتفاقيات والمعاهدات[6]. ولم توظف كلمة "دبلوماسية" بمعناها الحديث إلا في أواخر القرن السابع عشر، وذلك لوصف بعثات التمثيل الدبلوماسي التي تتولى تمثيل مصالح الدول والتفاوض باسمها[7].

هكذا، تطورت كلمة "دبلوماسية" لفظياً من اللغة اليونانية إلى اللاتينية ثم إلى اللغات الأوروبية، وبعدها دخلت في حيز الاستعمال اللغوي العربي لعدم وجود كلمة تستوعب المعنى ذاته. وتحمل الدبلوماسية معان ودلالات متعددة ومختلفة وذلك بالنظر إلى السياق العام الذي تستعمل فيه وحقيقة الواقع الذي تنطبق عليه وتشمله[8]. بيد أنها ترتبط محورياً بمفهوم السياسة الخارجية، أي أنها تتعلق أساساً بآليات العمل الخارجي للدولة بما في ذلك آلية فن إجراء المفاوضات. فالدبلوماسية كما يعرفها كانتر "Cantor" هي

[5] Basil A. Ekot, ⟪Diplomacy as instrument of good Governance, peace and Security: Lessons from 17 Century French Diplomatic Practice,⟫ Vuna Journal of Politics and Diplomatic Studies., Vol. 1 No. 1 June, 2015, p. 2. Accessed May 20, 2024. http://www.researchgate.net/publication/365119806.

[6] فاضل زكي محمد، الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، ط 2 (بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد، 1968)، ص 9

[7] سموحي فوق العادة، الدبلوماسية الحديثة، ط 1 (بيروت: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، 1973)، ص 1

[8] أدونيس العكره، من الدبلوماسية إلى الاستراتيجية: أمثولات من الحرب الباردة، ط 1 (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1981)، ص 16.

International Journal of Financial, Administrative and Economic Sciences, London Vol (3), No (8), 2024
https://doi.org/10.59992/IJFAES.2024.v3n8p10 E-ISSN 2977-1498

"فن وممارسة إجراء المفاوضات مع الدول الأخرى في عملية تنفيذ السياسة الخارجية"[9]. والواقع أن آلية أو مهارة التفاوض لا يكاد يخلو منها أي تعريف من التعاريف الواردة في أدبيات الدبلوماسية. فالتفاوض يمثل جوهر الدبلوماسية. وهذا ما دفع بهنري كسينجر إلى القول بأن: "الدبلوماسية بالمعنى المتعارف عليه هي عملية التقريب بين وجهات النظر المتعارضة من خلال المفاوضات"[10].

هكذا، فإن الدبلوماسية هي فن ومهارة التعامل مع الناس بطريقة إيجابية، وأيضا هي التحلي بالذكاء واللباقة في إدارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول، إلى جانب كونها آلية لتنفيذ السياسة الخارجية.

والنقطة المهمة التي يجدر بنا الإشارة إليها، في صدد مناقشة مفهوم الدبلوماسية، هي أن ارتكاز الدبلوماسية، في جوهرها على التفاوض، هو الذي منحها ميزة محورية أودعت مفهومها سمة المرونة والموائمة، أي أن اقتران الدبلوماسية بالتفاوض هو الذي جعلها غير مقيّدة في سياقها الدلالي. فإذا كانت الدبلوماسية هي "فن أو ممارسة لإدارة العلاقات الدولية"[11]، فإن آلية أو فن التفاوض هو الذي أضفى على مفهوم الدبلوماسية سمة المرونة والرحابة إذ أنه لا يقتصر على الدول وعملها الرسمي فحسب، بل يمتد ليشمل الأنشطة الاجتماعية. فثمة ما يعرف بالدبلوماسية غير الرسمية أو دبلوماسية المسار الثاني (Track Two Diplomacy)، أو الدبلوماسية الاجتماعية التي يمكن تحديد مفهومها في توظيف اللباقة والذكاء لكسب ميزة استراتيجية أو لإيجاد حل متبادل ومقبول لتحدي مشترك[12]. فالدبلوماسية، كما يرى أدنيران (Adeniran) هي فن وأسلوب حياة[13]. فهي عملية يتم من خلالها إبرام الاتفاقيات وإدارة العلاقات بين الدول لإمكانية احتواء وتسوية الخلافات، من خلال مختلف سبل التفاوض ومبادئ اللباقة واللياقة والمودة. إضافة إلى ذلك فإنها تساعد على تنمية المهارات الإدارية الفعالة[14]. فالدبلوماسية، إلى جانب كونها نشاط سياسي، هي أيضا، نشاط اجتماعي إذ أنها ترتكز على مهارة التعامل مع الناس بطريقة إيجابية.

---

[9] Robert D. Cantor, Introduction to International Politics, (Itasca, Illinois 60143: F.E. Peacock publishers, INC, 1976), p.105

[10] ميلود المهذبي، «قراءة في موضوع التفاوض الدولي،» مجلة الدراسات العليا، أكاديمية الدراسات العليا والبحوث الاقتصادية، طرابلس، السنة الأولى، العدد الأول (شتاء 2004)، ص 108

[11] Kirsten Bound [et al.], Cultural Diplomacy (London: Demos, 2007), p. 22.

[12] Basil A. Ekot, ⟪Diplomacy in Quality Management and Administrative Leadership: Application in Contemporary Nigerian Society,⟫Vuna Journal of History and International Relations., Vol. 2. No. 3. 2018, p. 102. Accessed May 20, 2024. https://www.researchgate.net/publication/365119965

[13] المصدر نفسه، ص 103

[14] المصدر نفسه، ص 108

International Journal of Financial, Administrative, and Economic Sciences (IJFAES)
Vol. (3), No. (8)
IJFAES
August 2024
المجلة الدولية للعلوم المالية والإدارية والاقتصادية
الإصدار (3)، العدد (8)

والواقع أن ارتكاز الدبلوماسية على مهارة التفاوض هو الذي جعلها أداة فعالة لمنع الصراعات بين الأفراد والجماعات والدول، أي بمعنى أنها وسيلة ناجعة في حفظ السلم والأمن الدوليين من خلال منع الصراعات واحتواء الأزمات عن طريق الإجراءات الوقائية أو ما يسمى بالدبلوماسية الوقائية (Preventive Diplomacy) التي تعمل على تخفيف النزاعات الدولية وتسوية الخلافات بين الدول ومن ثم إرساء دعائم الأمن والاستقرار الدولي.

2- العمارة

العمارة (Architecture) هي كلمة مشتقة في الأصل من اللفظة اليونانية "Architekton" وباللاتينية "Architecton" وتعني سيد البناء[15]. هذا من الناحية اللغوية. فماذا عن المعنى الاصطلاحي للعمارة؟

يبدو أن هناك نوع من الاضطراب وعدم الاستقرار فيما يخص مسألة تعريف العمارة، من الناحية النظرية. فعندما نتكلم عن العمارة نفكر تلقائيا في عملية تصميم وتخطيط المباني. بيد أن هذا قد يضعنا أمام جملة من التساؤلات التي تحتاج إلى إجابات أكثر إيضاحا وقبولا، فيما يخص هذا المفهوم. في هذا السياق يقدم سيمون أونوين (Simon Unwin) تحليلا واقعيا مستفيضا لهذه المسألة، ساعيا إلى استنباط تعريف صائب لها بما يعبّر عن جواهر الظواهر المعمارية. فرغم عدم معارضته للصيغة التعبيرية التي تعرّف العمارة[16] بأنها "تصميم المباني"[17] ، فإنه أعابها لكونها تقلل، في الواقع، من مفهومنا لهذا المصطلح.

استخلص سيمون فهمه لهندسة العمارة من الطريقة التي تستخدم بها الكلمة في مجالات الفنون الأخرى، مثل تعريف هندسة السيمفونية في علم الموسيقى، التي تعني التنظيم المفاهيمي لأجزائها في كيان متكامل، أي بنيتها الفكرية[18]. وانطلق في تحليله من رؤيته للعمارة على أنها أكثر من مجرد بناء. فاجتهد في توسيع دلالة مفهومها وتضمينه عناصر ذات معان تفسيرية عميقة ومستمدة، أصلا، من طبيعة وأهداف الظاهرة المعمارية من خلال تبني رؤية شمولية وواقعية في سياق المنظومة الكلية لمكوناتها الجزئية. إذ أودع فيها معان فنية عديدة؛ مثل تطبيق الاعتبارات الجمالية على أشكال المباني؛ كالزخرفة، وفن جعل المباني

[15] SevasteanIanca& Mircea Georgescu, Architecture Notes, “Politehnica” University of Timisoara, p. 2. Accessed June 1, 2024. http://www.ct.upt.ro/Studenti/cursuri/georgescu/Architecture_Notes.pdf

[16] تجدر الإشارة إلى أننا، في هذه الدراسة، نستخدم إجرائيا، مصطلحات: العمارة، الهندسة المعمارية، هندسة العمارة كمترادفات تحمل المعنى نفسه في العديد من السياقات، مع الأخذ في الاعتبار الاختلافات الدقيقة في استخدامها.

[17] Simon Unwin, Analysing Architecture, (New York: The Taylor & Francis e-library, 2003), p. 13

[18] المصدر نفسه، ص ن

International Journal of Financial, Administrative and Economic Sciences, London Vol (3), No (8), 2024
https://doi.org/10.59992/IJFAES.2024.v3n8p10 E-ISSN 2977-1498

International Journal of Financial, Administrative, and Economic Sciences (IJFAES)
Vol. (3), No. (8)
IJFAES
August 2024
المجلة الدولية للعلوم المالية والإدارية والاقتصادية
الإصدار (3)، العدد (8)

جميلة، والتركيب ثلاثي الأبعاد للأشكال في الفضاء، وترتيب المباني وفقا لبعض الأنظمة الفكرية (الكلاسيكية، الوظيفية، ما بعد الحداثة) وإدخال المعنى الشعري في المباني[19]. كما أسبغ عليها أبعاد دلالية مهمة؛ كالبعد المكاني، والبعد التاريخي، والبعد الاجتماعي والثقافي[20]. إلى جانب البعد السياسي باعتبار أن العمارة مجال سياسي لا مفر منه[21].

وقد أولى سيمون، في مقاربته لمفهوم العمارة، أهمية قصوى للسياق المكاني. إذ أن نقطة الارتكاز المحورية في تحليله لهذا المفهوم هي فكرة صناعة أو تحديد المكان (The idea that identification of place)[22] التي تمثل الجوهر التوليدي للهندسة المعمارية، أي الشروع في ممارسة العمل المعماري. فالعمارة لا تتعامل مع التجريدات، بل مع الحياة كما تعاش وقوتها الأساسية هي تحديد المكان[23].

ولا شك أن تركيز سيمون على أهمية البعد المكاني في تحليله لمفهوم العمارة قد أضفى مزيدا من الإيضاح والتوسعة الفهمية لهذا المفهوم. إذ أن الفضاء المكاني يشمل الكيان الاجتماعي المتمثل في ساكنيه بما يحملون من ميول فنية وثقافة جمالية تدفعهم إلى الرغبة في الاستمتاع بالتذوق الجمالي لفن العمارة الذي يجدون فيه انسجاما مع هويتهم الثقافية وإرثهم التاريخي. فالعمارة هي "نتاج تاريخي لارتباطها بسابقيها وفاعليها وساكنيها، وهي زيادة على هذا تنتج بوجودها التاريخ بدءا برواية منتجها، ثم رواية تأثيرها في سلوك مستعمليها بما تفرضه من ضغوطات ناجمة عن تشكيلاتها الفراغية"[24]. كما أن المهندس المعماري يحرص في عملية التصميم والتخطيط المعماري على إيجاد علاقة توازن قوامها الترابط والاتساق بين المكان بمكوناته الحضارية والتاريخية من جهة والنتاج المعماري وساكنيه من جهة أخرى. أي بمعنى إنتاج عمارة تعكس الهوية الثقافية المحلية وتسهم في تكوين التراث الجماعي لمجتمعه وتنسجم بسياق الحياة الاجتماعية[25].

[19] المصدر نفسه، ص ن
[20] المصدر نفسه، ص 13-17
[21] المصدر نفسه، ص 17
[22] المصدر نفسه، ص 14
[23] المصدر نفسه، ص 16
[24] سعاد ساسي بودماغ، «النمطية بين تاريخ العمارة ومنهجية الإبداع»، المستقبل العربي، السنة 23، العدد 263 (يناير 2001)، ص 135
[25] نظير أبو عبيد، «المشهد المكاني كمفهوم سلوكي بيئي في تحليل التواصل ما بين العمارة والمجتمع»، المستقبل العربي، السنة 22، العدد 248 (أكتوبر 1999)، ص 128

International Journal of Financial, Administrative, and Economic Sciences (IJFAES)
Vol. (3), No. (8)
IJFAES
August 2024
المجلة الدولية للعلوم المالية والإدارية والاقتصادية
الإصدار (3)، العدد (8)

كذلك، فإن تأكيد سيمون على اندراج العمارة ضمن المجال السياسي له دلالته النظرية والعملية. إذ أننا نجد نوعا من الانسجام والملاءمة بين هذه الرؤية التحليلية وتحليل روبرت دال (Robert A. Dahl) لمفهوم السياسة الذي يرى أن السياسة هي حقيقة من حقائق الوجود الإنساني لا يمكن تجنبها ولا يمكن تجنب النتائج المتولدة عنها[26]. فالنشاط المعماري يندرج ضمن المجالات السياسية لأنه يعمل في إطار بيئة اجتماعية محكومة بمحددات نظام سياسي. وبالتالي، فإن استخدام الهندسة المعمارية في أي موقف عادة ما يكون مسألة قوة سياسية أو مالية أو تأكيد لحجة أو إقناع[27].

إجمالا، وبناء على ما سبق، يمكن القول: أن العمارة هي نشاط بشري ذو بعد تاريخي عميق وطبيعة فنية وجمالية ومهارة حرفية في الممارسة. وتهتم بعلم وفن تصميم وتخطيط المباني والمنشآت والمعالم الحضارية في فضاء مكاني تدور فيه حركة الإنسان في إطار تفاعله وتكيفه مع المعطيات التاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية السائدة فيه.

ثانياً: السمات والخصائص المشتركة بين الدبلوماسية والعمارة

تتداخل في عالمنا المعاصر مجالات عدة وتتشابك على نحو غير متوقع، مما يكشف عن روابط عميقة بين تخصصات تبدو للوهلة الأولى بعيدة كل البعد عن بعضها بعض. تبرز هذه الظاهرة بشكل خاص بين الدبلوماسية والعمارة، حيث تتصف كلاهما بسمات وخصائص مشتركة. فعلى الرغم من أن الدبلوماسية تعني بالتفاعلات بين الدول وحل النزاعات من خلال الحوار والتفاوض، والعمارة تركز على تصميم المباني من حيث الجوانب الجمالية والوظيفية والاستدامة، أي تصميم وبناء الهياكل التي تؤثر في حياة البشر اليومية، إلا أن هناك سمات وخصائص تجمع بين هذين المجالين. فما هي هذه السمات والخصائص المشتركة بين الدبلوماسية والعمارة، وكيف يمكننا الاستدلال عليها؟

في صدد الإجابة على هذا السؤال، يكون من المفيد أن نبدأ بالسمات المشتركة بينهما كمجالين سياسيين.

1- السمات والخصائص المشتركة بين الدبلوماسية والعمارة كمجالين سياسيين
عند الحديث عن السمات والخصائص المشتركة بين الدبلوماسية والعمارة، ينبغي بداية أن ندرك أن كلا المجالين يندرجان ضمن النطاق السياسي. فالدبلوماسية، كما سبق أن أشرنا، هي بلا شك مجال سياسي

[26] روبرت أ. دال، التحليل السياسي الحديث، ترجمة علاء أبو زيد، مراجعة علي الدين هلال، ط 5 (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر [د. ت])، ص 7
[27] Unwin, Ibid., p. 17

International Journal of Financial, Administrative and Economic Sciences, London Vol (3), No (8), 2024
https://doi.org/10.59992/IJFAES.2024.v3n8p10 E-ISSN 2977-1498

لأنها تعبر عن سياسة معينة، فهي تعني مباشرة بالعلاقات السياسية بين الدول[28]. وهذه وظيفة سياسية بامتياز لأن العلاقات الدولية قائمة أساسا على التعامل السياسي الذي يعتبر أمرا لا مفر منه[29]. فالدبلوماسية، في نهاية المطاف، هي أداة أساسية ومهمة في عملية تنفيذ السياسات الخارجية للدول. وتحقيق مصالحها الوطنية على المستوى الدولي.

هذا فيما يخص الدبلوماسية. أما فيما يتعلق بالعمارة، فإنها، أيضا، مجال سياسي. وهذا ما يؤكده سيمون الذي يرى أن هذا المجال يعد سياسيا بامتياز، حيث لا توجد إجابات صحيحة أو خاطئة، بل إجابات مقبولة وأخرى مرفوضة، ويعتمد ذلك على قوة أصوات المؤيدين[30]. كما تخضع العمارة بشكل متزايد للسيطرة السياسية، إذ يستخدم التصميم المعماري لتعزيز القوة السياسية أو المالية أو لتأكيد الحجج والإقناع[31].

من الناحية التحليلية، فإن ممارسة النشاط المعماري تتجاوز عملية البناء البحتة، حيث ترتبط ارتباطا وثيقا بثقافة المجتمع والسياسة العامة للدولة، فالمعمار منوط به التعبير عن ثقافة المجتمع وحضارته نيابة عن الذاكرة الجماعية[32]. كما أن تصميمات المباني والفضاءات العامة تعكس مضمون الهوية الثقافية والاجتماعية والسياسية لأي مجتمع من المجتمعات. وتترجم، في الوقت ذاته، توجهات السياسة العامة للدولة نحو التنمية المستدامة وتحسين جودة الحياة.

عموما، يمكن القول أن النشاط المعماري هو أداة حيوية تجمع بين تطلعات المجتمع والرؤية الاستراتيجية للحكومة كما رسمتها في السياسة العامة التي هي خلاصة العملية السياسية بكل مقوماتها ومخرجاتها.

2- السمات والخصائص المشتركة بين الدبلوماسية والعمارة من منظور علاقتهما بالرأي المجتمعي
تتسم الدبلوماسية والعمارة بخصائص بينية تتجلى في التفاعل الوثيق لكل منهما مع الرأي المجتمعي. فالدبلوماسية، سواء كانت رسمية أو غير رسمية تسعى إلى بناء جسور التواصل وإرساء سبل التفاهم والتعاون بين الدول والمجتمعات من خلال الحوار والتفاوض منطلقة من خلفية فهمية وإدراك عميق لتوجهات وآراء الجماهير. كما أن القادة التنفيذيين وكل النخب السياسية الفاعلة بما في ذلك مدراء المنظمات وشركات الأعمال يحتاجون إلى إتقان أساليب التفاوض وممارسته في التعامل مع الجمهور والمحافظة على إقامة وديمومة علاقات جيدة ووطيدة مع وسائل الإعلام لضمان نجاحهم، وهذا أمر

[28] انظر: Cantor, Introduction to International Politics, op. cit., pp: 105-113
[29] عطا محمد صالح زهرة، في النظرية الدبلوماسية، ط 1 (بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 1993)، ص 24.
[30] انظر: Unwin, Analysing Architecture, op. cit., pp: 17, 167
[31] المصدر نفسه، ص 17
[32] سعاد بودماغ، «الخطاب المعماري بين الفكر الغربي والفكر العربي الإسلامي،»، المستقبل العربي، السنة 22، العدد 248 (أكتوبر 1999)، ص 114

يستلزم منهم أن يكونوا دبلوماسيين في تعاملاتهم من أجل تحقيق نجاحات في أعمالهم مهما كانت التحديات التي يواجهونها[33].

وعلى نحو نظير تعكس العمارة الرغبات والتطلعات الثقافية والاجتماعية والسياسية للمجتمعات حيث تتجلى في تصاميمها وأبنيتها الملامح الثقافية للمجتمع وهويته الوطنية التي تستند إلى تفضيلات الرأي المجتمعي وميوله الوجدانية ورموزه الاجتماعية. إذ أنه من الطبيعي أن تسعى المجتمعات البشرية للحفاظ على هويتها ووجودها من خلال إعادة إنتاج الصور الراسخة في أذهان أفرادها[34].

هكذا، يشترك المجالان في قابليتهما وقدرتهما غلى التأثير والتأثر بالرأي المجتمعي، حيث إن الدبلوماسية الفعالة تتطلب توافقا وانسجاما مع الرغبات والاحتياجات المجتمعية لتحقيق السلام والتعاون الدولي، بينما يعتمد النجاح في العمارة على تلبية توقعات المجتمع وإثبات تطلعاته في الفضاءات العامة والبنى التحتية.

من خلال هذا التفاعل المتواصل مع الرأي المجتمعي تساهم الدبلوماسية مع العمارة في تشكيل الهوية الثقافية وتعزيز التنمية المستدامة، مما يجعلهما مجالين سياسيين حيويين يتأثران ويؤثران بفعالية ونجاعة في المجتمعات.

3- التمدُّديّة كخاصية مشتركة بين الدبلوماسية والعمارة

التمدّديّة (Expansionism) هي خاصية أو سمة تشير إلى القدرة على التوسع والانتشار (Spillover) في الكثير من المجالات. وهي بذلك يمكن إدراجها ضمن السمات أو الخصائص المشتركة بين الدبلوماسية والعمارة. في الدبلوماسية تمثل الكلمة نقطة الانطلاق الأساسية في عملية التمدد، فهي النواة الأساسية التي تُبنى منها الجملة، التي تتطور لتصبح حوارا ثم خطابا قد يسهم في إرساء وتعزيز أسس وقيم التفاهم الدولي وتحسين العلاقات بين الدول إذا كانت كلماته وعباراته مهذبة ومعبرة عن قيم نبيلة ومستحسنة. إذ يجب أن يتحلى كلام الدبلوماسي باللطف والنعومة وأن يكون بعيدا عن الشدة والعنف، لأن المجاملة والإطراء يخلقان جوا من الاطمئنان والثقة، بينما تولّد الخشونة الحقد والنفور[35]. أما إذا كانت الكلمات غامضة ومتناقضة، ومبنية على آراء ركيكة واستنتاجات غير مقبولة ومغالطات، فإنها، بلا شك، ستؤدي إلى تعقيد

[33] Ekot, 《Diplomacy in Quality Management and Administrative Leadership: Application in Contemporary Nigerian Society,》, op. cit. pp. 102- 103.

[34] مشاري عبد الله النعيم، «تحولات الهوية العمرانية: ثنائية الثقافة والتاريخ في العمارة الخليجية المعاصرة،»، المستقبل العربي، السنة 23، العدد 263 (يناير 2001)، ص 98

[35] فوق العادة، الدبلوماسية الحديثة، ص 91

International Journal of Financial, Administrative, and Economic Sciences (IJFAES)
Vol. (3), No. (8)
IJFAES
August 2024
المجلة الدولية للعلوم المالية والإدارية والاقتصادية
الإصدار (3)، العدد (8)

العلاقات الدولية وإثارة الصراعات وتأجيجها. فالتمدّديّة في الدبلوماسية تتميز بالطابع اللفظي، إلا أنها في واقع الممارسة لها بعد تأثيري قد تكون نتائجه إيجابية أو سلبية. فالكلمات والخطب الدبلوماسية تؤثر في العلاقات بين الدول، سواء من خلال تحسينها وتعزيزها أو من خلال تدهورها وتأجج صراعاتها وأزماتها.

وعلى نحو مماثل، تتسم العمارة بالتمدّدية الحركية (Dynamic Expansionism)، حيث تُعد النقطة أساس العمل الهندسي، فهي تمثل بداية كل تشكيل فني. فإذا تحركت النقطة شكلت خطا، وإذا تحرك الخط رسم مساحة، وإذا تحركت المساحة صنعت حجما بثلاثة أبعاد[36]. وبالتالي، فإنه من خلال عملية التمدد الحركي وتقنياته يتم استخدام الخطوط وكل العناصر لتحديد المساحات والهياكل والأشكال الهندسية وتصميم وتخطيط المباني وتشكيل الفضاءات الحضرية في إطار يعكس الهوية الثقافية على نطاق واسع.

وهكذا، يمكن لنا فهم العمارة التكيفية (Adaptive Architecture) كظاهرة ملحوظة في العديد من البلدان، حيث تتم عملية تكييف البنية التحتية مع الظروف والمعطيات البيئية واحتياجات ورغبات المجتمع.

4- فن المهارة التفاوضية والإقناع العقلاني كسمة مشتركة بين الدبلوماسية والعمارة

التفاوض هو العنصر الأساسي في مفهوم الدبلوماسية، فهو حجر الزاوية في اتصال الدولة مع غيرها من الدول والخطوة الأولى في مساعيها لتحقيق مصالحها وتسوية خلافاتها سلميا[37]. فالدبلوماسية هي عملية تقريب بين وجهات النظر المتعارضة عبر المفاوضات.

هذا المفهوم ينسحب على العمارة، حيث يعد التفاوض، الذي أصله مصطلح اقتصادي تجاري[38]، سمة مشتركة في كلا المجالين. فالعمارة، كجزء من المجال التجاري، تعتمد على التفاوض لتحقيق حلول وسط بين الأطراف المختلفة، فهي تستثمر منتجاتها في السوق الاستهلاكية ويعتمد نجاحها على مدى رضا العملاء عنها[39]. ولا شك أن رضا العملاء يتوقف على أسلوب التعامل الذي يتبعه المعماري. ففي سياق التعامل مع العملاء يجب على المعماري أن يحرص على تمكين العميل من الوصول إلى فهم واضح ودقيق

[36] انظر: Francis D. K. Ching, Architecture: Forms, Space, & Order, 4th ed, (New Jersey: John Wiley & Sons, 2015), pp: 1-3

[37] باسل رؤوف الخطيب، «المقومات الرئيسية للمفاوضات الدولية: دراسة نظرية،»، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلد 18، العدد 1 (ربيع 1990)، ص 60

[38] المهذبي، «قراءة في موضوع التفاوض الدولي،»، ص 167

[39] Unwin, Analysing Architecture, op. cit., p. 167

للموقف الحقيقي من خلال توفير المعلومات الصحيحة والشاملة المبنية على حقائق وبيانات دقيقة مما يساعد العميل على اتخاذ قرارات مستنيرة تتناسب مع احتياجاته ورؤيته للمشروع. فعندما يعتذر المعماري لعميله، يتعين عليه أن ينتهج أسلوب الإقناع العقلاني بتوفير المعلومات الصحيحة لتمكينه من فهم الموقف الحقيقي، مما يعكس التزامه بالمبادئ الأخلاقية. فمثلا، قد يعتذر المهندس لعميله قائلا: أنا آسف لأنني قدرت تكلفة المبنى أكثر من الحد الأقصى لما يمكنك إنفاقه[40]. فهذا المثال يعكس فكرة فن التواصل الفعال والإقناع العقلاني، حيث يساهم في بناء الثقة وتعزيز الفهم المتبادل بين المعماري وعميله[41]. هذا أيضا، ما تتسم به الدبلوماسية الدولية من خلال قنوات وآليات التواصل الدبلوماسي بين الدول والمنظمات الدولية، حيث يتم التواصل بفعالية وبأسلوب مهذب ومدروس ونزيه لتحقيق التفاهم والاحترام المتبادل وإرساء دعائم السلام والتعاون الدولي. فالدبلوماسية تعتمد على النزاهة ومراعاة المصالح المشتركة، مما يستلزم أن يكون الدبلوماسي قادرا على الإقناع والتعامل بطريقة إيجابية لتحقيق الأهداف المرجوة.

5- الاستخدام المشترك للرموز والاستعارات اللفظية بين الدبلوماسية والعمارة كسمة مميزة تجمع بينهما

من نقاط التلاقي بين الدبلوماسية والعمارة أنهما يشتركان في استخدام الرموز والاستعارات اللفظية كأداة لإيصال رسائلهما بطرق فعالة ومفهومة. على سبيل المثال، فإن استخدام أقواس الترحيب في العمارة يعبر عن شيمة الترحاب والحفاوة والضيافة، وهو ما يمكن مضاهاته بالأساليب الدبلوماسية التي تهدف إلى بناء العلاقات الودية بين الدول. وتكمن الدلالة الرمزية لهذه الأقواس في أنها ليست مجرد عناصر معمارية فحسب، بل تحمل دلالات رمزية عميقة، إذ تمثل الدعوة للانفتاح والحوار وتعبر عن رغبات الدول في استضافة المؤتمرات الدولية واستقبال وفودها والترحيب بها وبما يطرحونه من أفكار جديدة وهادفة. بهذا تستعير العمارة مصطلحات من عالم الدبلوماسية لتوظيفها معماريا في تحسين مفهوم الترحيب والتعاون.

من جانب آخر، تستعير الدبلوماسية مصطلحات من مجال هندسة العمارة. ففي أدبيات العلاقات الدولية ثمة كثير من هذه الأنماط الاستعارية والمجازية، حيث يُوصف الدبلوماسيون البارعون بأنهم "مهندسو السياسة الخارجية" تعبيرا عن مهارتهم الفائقة في هذا المجال. على سبيل المثال يُشار إلى وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر بأنه مهندس السياسة الخارجية الأمريكية كناية عن مهاراته الدبلوماسية[42].

---

[40] دال، التحليل السياسي الحديث، ص 60

[41] حول مفهوم الإقناع العقلاني، انظر، المصدر نفسه، ص 59- 60

[42] على سبيل المثال: Jussi Hanhimaki, The Flawed Architect: Henery Kissinger and American Foreign Policy, (New York: Oxford University Press, 2004).

وفي السياق ذاته، فإن استخدام تعابير دلالية مثل: "بناء جسور التواصل"، "إرساء دعائم الاستقرار والسلام"، يسهم في تبسيط فهم حقيقة وأهمية التواصل والتعاون في العلاقات الدولية.

من جانب آخر، ثمة استعارة متبادلة بين الدبلوماسية والعمارة، حيث يتم استخدام مفهوم الهدوء في كل منهما. في الدبلوماسية يتم التعامل مع القضايا والنزاعات بشكل هادئ ومتزن ومدروس بتريث. وهذا ما يسمى في الأدبيات الدبلوماسية بالدبلوماسية الهادئة التي تهدف دائما إلى التوصل إلى نتائج إيجابية ثابتة وغير متسرعة[43]. وعلى الغرار ذاته نجد في أدبيات العمارة ما يعبر عن اقتران الجمال والهدوء بمخرجات العمل المعماري، ذلك أن "التجربة السمعية الأكثر أهمية التي خلقتها الهندسة المعمارية هي الهدوء"[44].

6- السمات والخصائص المشتركة بين الدبلوماسية والعمارة كمجالين من حقول المعرفة العلمية

من حيث تطابق مواصفات المقاييس العلمية في كل منهما واعتمادهما على منهجية البحث والتحليل العلمي الدقيق. فكل منهما تتوفر فيه مقومات المادة العلمية (كالمنهجية العلمية ووجود جماعات علمية مدمجة ومؤطّرة داخل شبكات من المؤسسات العلمية)[45]. فالدبلوماسية هي علم من حيث ما تقتضي من معارف علمية عديدة؛ كالتاريخ والقانون والعلاقات الدولية وأسسها ومعرفة العلوم السياسية ومفاهيمها[46]. وبالمثل فإن العمارة يتم تدريسها في مؤسسات أكاديمية؛ كالكليات الجامعية والمعاهد من خلال مناهج قوامها الجمع بين النظريات الفنية والتقنيات العلمية. فالمعمار "بطبيعة دراسته الأكاديمية يتميز من العامة بمعرفته النظرية التي تخص بالدرجة الأولى التركيبات الشكلية والفراغية من انسجام وتناسب وتضاد وتلاعب بالكتل والحجوم والظل والضوء والتنويع في المواد وغيرها من الأفكار المطروحة للاستهلاك في سوق العمارة اليوم"[47]. إضافة إلى ذلك، فإن الدبلوماسية لا شك أن الدبلوماسية والعمارة يعتبران من ضمن حقول المعرفة العلمية، إذ أنهما يتشابهان في هذه السمة والعمارة كلاهما تتوفر فيه خصائص المعرفة العلمية[48]؛ كالتراكمية والمنهجية والشمولية واليقينية، وغيرها من الخصائص.

ثالثاً: التوظيف الدبلوماسي للعمارة: العمارة كأداة دبلوماسية

[43] زهرة، في النظرية الدبلوماسية، ص 125

[44] Juhani Pallasma, The eyes of the Skin: Architecture and the Senses, (England: John Wiley & Sons, 2005), p. 51

[45] الحسان بو قنطار وعبد الوهاب معلمي، العلاقات الدولية، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1985)، ص 23- 30

[46] العكره، من الدبلوماسية إلى الاستراتيجية: أمثولات من الحرب الباردة، ص 22

[47] سامر عكاش، «تنظير العمارة وتجربة الحياة اليومية»، المستقبل العربي، السنة 22، العدد 248 (أكتوبر 1999)، ص 104

[48] بشأن خصائص المعرفة العلمية، انظر: محمد بن عياد، في مناهج البحث، ط (صفاقس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، 2007)، ص 23- 27

International Journal of Financial, Administrative, and Economic Sciences (IJFAES)
Vol. (3), No. (8)
IJFAES
August 2024
المجلة الدولية للعلوم المالية والإدارية والاقتصادية
الإصدار (3)، العدد (8)

في سياق ما سبق شرحه حول الخصائص والسمات المشتركة بين الدبلوماسية والعمارة يبرز سؤال محوري ذو أهمية كبيرة وجدير بالمناقشة والتحليل العميق، مفاده: ما هي طبيعة العلاقة بين الدبلوماسية والعمارة من حيث التأثير والتأثر في نطاق التفاعل بينهما؟

في هذا السؤال جانبان، أحدهما توضيحي والآخر استدلالي، فيما يتعلق بطبيعة هذه العلاقة البينية. وهذا ما سنتناوله في الفقرات التالية:

1.طبيعة العلاقة التفاعلية بين الدبلوماسية والعمارة

إن طبيعة العلاقة التفاعلية بالمعنى البسيط هي نمط أو شكل علاقة التفاعل من حيث مصدر التأثير ومداه. في سياق هذا المعنى يمكن اعتبار الدبلوماسية تمثل نقطة الارتكاز في فهم طبيعة علاقتها التفاعلية مع العمارة. فهي أداة حيوية لتنفيذ السياسة الخارجية الهادفة لدعم الأمن القومي للدولة وتأمين مصالحها في الخارج والحفاظ على السلام بين الدول. وحيث إن السياسة الخارجية هي جزء لا يتجزأ من السياسة العامة، فإن الأمر يكون مرتبطا بالسياسة أكثر من غيرها. وتبعا لذلك تكون العمارة أداة تنفيذية من ضمن أدوات تحقيق أهداف السياسة الخارجية.

وبما أن "العمارة فن وظيفي ونفعي. والاستعمالية هي ضرب من السلوك الاجتماعي، ومن شأن النفعية أن تدرج العمل المعماري في العالم الحضاري للمعماري"[49]، فإن الدبلوماسية كأداة سياسية تؤثر، بشكل كبير، على كيفية تصميم وبناء الهياكل الدبلوماسية. مما يجعل العمارة متغيرا تابعا يتوقف على المحتويات أو العناصر المشمولة في الدبلوماسية كمصدر تأثير. وهذا ما يمكن تسميته ب"الدبلوماسية المعمارية" (Architectural Diplomacy) التي تعني استخدام الهندسة المعمارية كوسيلة لتعزيز العلاقات الدولية والتواصل الثقافي بين الدول، من خلال التركيز على تصميم وبناء السفارات أو المساكن الدبلوماسية، أو بمعنى أخر العمارة الدبلوماسية (Diplomatic Architecture) التي تركز أساساً على تصميم وبناء السفارات المتمثلة في المباني التي توجد فيها أعلى بعثات دبلوماسية للدول المرسلة لدى الدول المستقبلة. العمارة ليست مجرد فن، بل هي أداة قوية في يد السلطة السياسية التي تخولها إلى سلع سياسة (Political goods)[50]؛ كالمباني الحكومية والمعالم الوطنية والسفارات، ويتم تقديمها لتحسين نوعية الحياة وتعزيز الهوية الوطنية ودعم الاستقرار السياسي. وتعمل الدول على تسخير العمارة لخدمة سياساتها

[49] أبو عبيد، «المشهد المكاني كمفهوم سلوكي بيئي في تحليل التواصل ما بين العمارة والمجتمع،»، ص 128

[50] بشأن مفهوم السلع السياسية، انظر: جبرائيل ألموند، بنجام بويل وروبرت مندت، السياسة المقارنة: إطار نظري، نقلة إلى العربية محمد زاهي بشير المغيربي، ط 1، (بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 1996)، ص 321- 335

International Journal of Financial, Administrative and Economic Sciences, London Vol (3), No (8), 2024
https://doi.org/10.59992/IJFAES.2024.v3n8p10 E-ISSN 2977-1498

وتعزيز مصالحها الوطنية في الداخل والخارج، ولتعكس قيمها وثقافاتها، إضافة إلى توثيق صلات التعاون مع الدول الأخرى. فالعمارة تجمع بين الجوانب العملية والنفعية، إذ أنها تهدف إلى تصميم وبناء الفضاءات لتكون جذابة ومهمة من الناحية الجمالية، ولتلبي الاحتياجات المستقبلية للمستخدمين. ولهذا، فإن الدول تستخدم مواردها المتاحة وقدراتها لتوظيف هذه المقومات الفنية والتشكيلات الجمالية بما يتلاءم مع رؤاها وتطلعاتها المستقبلية.

2. السفارات كأدوات لإثبات وتعزيز الهوية الوطنية وإضفاء الشرعية

السفارة، في الخطاب المعماري، تشير إلى المبنى الذي يضم أعلى بعثة دبلوماسية للدولة المرسِلة لدى الدولة المستقبلة[51]. يعرف هذا المبنى بمقر البعثة الدبلوماسية. وقد عُرف في اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961، في المادة الأولى، بمصطلح "Premises of the Mission" أي دار البعثة.

وبذلك تكون السفارة تجسيداً معمارياً لتمثيل الدولة في الخارج، حيث تعد مباني البعثات الدبلوماسية نماذج تعبر عن هوية وثقافة الدولة المرسلة في البلد المضيف. يتجلى هذا في تصميمها المعماري المميز الذي يعكس قيم ونمط الحياة في الدولة المرسلة، مما يعزز سمعتها واحترامها على المستوى الدولي. ومن الناحية المعمارية، تعكس مباني السفارات الدقة والجمالية، مما يجسد أصالة وإبداع الدولة المرسلة. تعمل هذه الهياكل كأداة لإضفاء الشرعية وبناء هوية الدولة المرسلة على إقليم الدولة المستقبلة[52].

كذلك، فإن الدول، خاصة الكبرى منها، تستخدم معمارية السفارات (Embassy Architecture) لتوجيه رموز ودلالات وطنية وأيديولوجية إلى البيئة الخارجية. وقد أوضح المؤرخان المعماريان؛ جين لوفل (Jane Loeffler) وفابيان بيلات (Fabien Bellat)، أن الدول المرسلة مثل الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، تراقب عن كثب بناء سفاراتها عن طريق استثمارات كبيرة في هندسة هذه المباني، التي تنقل رسائل أيديولوجية إلى الخارج، على غرار عمارة الأجنحة (pavilion architecture) في المعارض العالمية[53].

كما تستخدم الدول التصاميم والأشكال الجمالية، المستمدة من تراثها التاريخي، في سفاراتها كوسيلة لعرض تراثها الديني. فعلى سبيل المثال نجد أن معمارية السفارات التركية غالبا ما تعكس التراث العثماني الإسلامي؛

[51] Bram De Maeyer, Fredie Floré and Anne-Francoise Morel, ⟪Architecture as Diplomatic instrument? The Multi- Layered Meaning of the Belgian Embassy in New Delhi (1947- 1983),⟫. Architectural Histories, 9(1): 14, pp. 1- 16. DOI: https://doi.org/10.5334/ah.496

[52] المصدر نفسه.

[53] المصدر نفسه.

International Journal of Financial, Administrative, and Economic Sciences (IJFAES)
Vol. (3), No. (8)
IJFAES
August 2024
المجلة الدولية للعلوم المالية والإدارية والاقتصادية
الإصدار (3)، العدد (8)

كاستخدام عناصر معمارية مثل القباب، المآذن المصغرة، البلاط المزخرف بالأشكال الهندسية والخط العربي، وذلك بهدف إظهار تاريخها العريق كجزء من الامبراطورية العثمانية. وكذا الحال بالنسبة للسفارات المغربية المعروفة بتصميمها المميز الذي يعكس الهندسة المعمارية الأندلسية والمغربية، من خلال استخدام البلاط المغربي المزخرف والنوافير والأقواس المزخرفة بما يبرز صورة معبرة عن التراث الثقافي الإسلامي العريق للمغرب.

وهناك دول تحرص على أن تكون معمارية سفاراتها انعكاسا للفخامة والحداثة، مع الحفاظ على العناصر التقليدية الدينية؛ كالإمارات العربية المتحدة، إذ نجد في تصاميم سفاراتها مزجا بين نمط العمارة الإسلامية التقليدية والعمارة المعاصرة، مما يعكس التطور العمراني السريع للإمارات مع الحفاظ على تراثها الثقافي. وهذا الإظهار المعماري مستمد من فلسفة الفكر المعماري الإسلامي المرتكزة على التوفيق بين المعاصرة والتأصل بتأطير الفكر والعقيدة عبر التشريع الديني لضمان الأصالة، مع تشجيع الاجتهاد والإبداع الفكري ضمن حدود الشريعة التي توضح الحقوق الفردية والجماعية[54].

3. المعارض المعمارية كأداة للدبلوماسية العامة

تسعى الدول عموما، وخاصة الكبرى منها، في سياساتها الخارجية للوصول إلى الجمهور الخارجي بقصد تشكيل مواقفه واستمالته. بيد أن هذا عادة ما يتم خارج قنوات الدبلوماسية التقليدية، أي عبر وسائل وقنوات غير تقليدية، مثل الدبلوماسية العامة والثقافية. فالدبلوماسية العامة (Diplomacy Public) التي ترعاها الحكومة، وتهدف إلى التأثير في الرأي العام في بلدان أخرى[55]، تعد وسيلة ناجعة لتحقيق هذا الهدف.

وفي هذا السياق، يشير البعض إلى أن الغرض من الدبلوماسية العامة الأمريكية هو الوصول إلى الجمهور الأجنبي خارج قنوات التمثيل الدبلوماسية التقليدية[56]. فقد استخدمت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وقوى أخرى أنماطا من فنون الهندسة المعمارية، بشكل كبير[57]، كوسيلة فعالة للترويج لتراثها الثقافي

[54] بودماغ، «الخطاب المعماري بين الفكر الغربي والفكر العربي الإسلامي،»، ص 121.

[55] Carnes Lord, ⟪What "strategic" Public Diplomacy Is,⟫ J. Michael Waller, ed., Strategic Influence: Public Diplomacy, Counterpropaganda, and Political Warfare (Washington, DC: The Institute of world politics press, 2008), p. 43

[56] Robert R. Rilly, ⟪Conducting a War of Ideas with Public Diplomacy: An insider's View,⟫ in: Waller, ed., Ibid., p. 120.

[57] John Lenczowski, ⟪Cultural Diplomacy, Political Influence, and integrated Strategy,⟫ in: Waller, ed., Ibid., p. 82

والمعماري ولتعزيز صورتها على المستوى الدولي وجذب الاهتمام من المستثمرين والسياح والمهتمين بالفنون والهندسة المعمارية. وذلك عبر نماذج مختلفة من المعارض المعمارية؛ كعرض نماذج مصغرة للمباني والمشاريع الهندسية البارزة، وعروض بصرية توضح التصاميم المعمارية، واستضافة خبراء في مجال العمارة ضمن برامج محاضرات وندوات حول هندسة العمارة وفنونها الجمالية.

4. دار الضيافة الدبلوماسية كأداة لإبراز مكانة الدولة وإثارة الإعجاب

إلى جانب الدور الذي تضطلع به الدبلوماسية المعمارية على المستوى الخارجي، تؤدي، أيضا، وظيفة مماثلة على المستوى الداخلي. فعندما تستقبل الدول وفودا دبلوماسية من الخارج، تحرص على تصميم مباني الاستقبال على نحو يعبر عن عظمتها وقوتها، مما يعزز من هيبتها ويترك انطباعا وإعجابا في نفوس الضيوف الدبلوماسيين. وهذا ما يعرف في أدبيات الدبلوماسية بدار الضيافة الدبلوماسية (Diplomatic Guest House).

والواقع أن ظاهرة الاهتمام بمعمارية دار الضيافة لها أبعاد تاريخية في ملازمتها للمجتمعات البشرية. فقد عرفت الدبلوماسية الإسلامية في العصر العباسي نظام المراسم واستقبال الرسل والاحتفاء بهم، وإيواء السفير وحاشيته في قصر الضيافة للاستراحة لفترة ما قبل مقابلته للخليفة[58]. ويعد ذلك تعبيرا رمزيا لإظهار عظمة الدولة وإثارة الإعجاب في نفوس الرسل القادمين إلى العاصمة العباسية وليبقى حديثهم مؤثرا في نفوس الذين أرسلوهم عندما ينقلون إليهم هذه الصورة الاستقبالية المؤثرة.

وبالمثل كان قصر آخن (Aachen)، في عهد الإمبراطور شارلمان (768- 814) مثالا مميزا للهندسة المعمارية في عصر النهضة الكارولنجي[59]، وكان نوعا من قصور الضيافة، فإلى جانب كونه مقرا رئيسيا لإدارة الحكم، فإن شارلمان كان يستقبل فيه الوفود الأجنبية والزوار المهمين، مما جعله مركزا سياسيا ودبلوماسيا بالإضافة إلى كونه مقرا للحكم ومركزا لقوة الإمبراطورية الكارولنجية (Carolingian Empire).

وإذا كانت دُور الضيافة الدبلوماسية، قديما، تمثل رموزا للكرم وحفاوة الاستقبال اللائق للضيوف والوفود الرسمية، فإنها لا تزال، اليوم، على ذات القدر من الأهمية في مواصلة أداء هذا الدور المهم معززة بتصاميم معمارية حديثة وجميلة وتقنيات متطورة تعكس التطور والتقدم الذي شهدته الدول في العصر الحديث. وتكمن أهمية دار الضيافة الدبلوماسية في كونها تمثل الواجهة الاستقبالية الأساسية للدولة، وتؤثر بشكل مباشر في تكوين الانطباع الأول لدى الضيف، الذي تحرص الدولة المضيفة أن يكون إيجابيا.

[58] محمد، الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، ص 26

[59] النهضة الكارولنجية هو مصطلح يستخدم لوصف الازدهار الثقافي لأوروبا في القرنين الثامن والتاسع تحت حكم الأسرة الكارولنجية.

ومن الأمثلة على أبرز دُور الضيافة الدبلوماسية، في عالمنا المعاصر؛ قصر الإليزيه الذي يضيف قيمة معمارية وجمالية تعزز الرصيد الدبلوماسي لفرنسا، من خلال تصميمه الكلاسيكي الجميل ورمزيته التاريخية وموقعه البارز في باريس. وكذلك بلير هاوس (Blair House) بيت الضيافة الرئاسي للولايات المتحدة الأمريكية الذي يقع في واشنطن العاصمة، مقابل البيت الأبيض ويستخدم لاستضافة رؤساء الدول والضيوف الأجانب من الشخصيات الدولية المهمة. وهو يعتبر معلماً تاريخياً ويمتاز بجماله المعماري وتاريخه العريق. وهناك، أيضا، أماكن شهيرة أخرى مثل؛ البيت الأبيض في الولايات المتحدة الأمريكية و 10داونينغ ستريت (Dawning Street 10) مقر الإقامة الرسمية ومكتب رئيس وزراء المملكة المتحدة، اللذان يؤديان أدوارا متشابهة في استقبال الضيوف الدبلوماسيين وعقد الاجتماعات الدولية.

إجمالا، من خلال ما سبق، يمكن القول بوجود علاقة تسخير انتفاعي بين الدبلوماسية والعمارة، وأن مصدر هذا التسخير هو الإرادة السياسية. فالسلطة السياسية توظف العمارة لخدمة مصالحها الوطنية وأهدافها الخارجية، وفي المقابل تستفيد المؤسسات الاستثمارية الكبرى في مجال العمارة من العوائد المالية والأرباح. بالتالي، هناك علاقة انتفاعية متبادلة بينهما، حيث يستفيد كل منهما من الآخر. إلا أن السياسة بأدواتها الدبلوماسية الرسمية وغير الرسمية، هي الأكثر تحكماً وتسخيراً لهذه العلاقة، حيث تخضع المؤسسات الاستثمارية، في آخر الأمر، لسيادة الدولة التي تديرها السلطة السياسية على المستويات كافة.

خاتمة

في ختام معالجتنا التحليلية للعلاقة بين الدبلوماسية والعمارة يمكننا التوصل إلى جملة من الاستنتاجات، لعل أهمها وأبرزها ما يلي:

1- قد يبدو للوهلة الأولى أن العلاقة بين الدبلوماسية والعمارة ضئيلة، إلا أن التحليل المفصل لهذه العلاقة يكشف عن وجود روابط قوية تدل على متانة وتماسك هذه العلاقة. إذ أوضح التحليل أن الدبلوماسية والعمارة تجمع بينهما نقاط تماثل وخصائص مشتركة متعددة، منها؛ اندراجهما ضمن المجال السياسي، وإنهما يتسمان بفن المهارة التفاوضية والإقناع العقلاني، ويتجلى فيهما الاستخدام المشترك للرموز والاستعارات اللفظية المتبادلة، وتفاعل كل منهما بشكل وثيق مع الرأي المجتمعي. إضافة إلى ذلك، فإن كل منهما يعتبر من ضمن حقول المعرفة العلمية، إذ تتجلى فيهما مواصفات المقاييس العلمية.

2- إن وجود نقاط تماثل بين الدبلوماسية والعمارة يدل على أن هناك علاقة متوازنة متناسقة بينهما حيث يمكن للعمارة أن تعكس القيم التاريخية والثقافية والسياسية للدولة وتدعم وسائلها الدبلوماسية في تحقيق أهدافها الخارجية.

3- إن العلاقة بين الدبلوماسية والعمارة تسودها جوانب التسخير الانتفاعي. وأن مصدر هذه التسخير هو الإرادة السياسية. فثمة علاقة انتفاعية متبادلة بين السياسة والعمارة إلا أن السياسة بأدواتها الدبلوماسية الرسمية وغير الرسمية هي الأكثر تحكما وتسخيرا لهذه العلاقة وتأثيراتها.

4- تعمل الدول على توظيف العمارة كأداة دبلوماسية عبر قنوات الدبلوماسية التقليدية أو الرسمية، وقنوات الدبلوماسية العامة. فعلى المستوى الرسمي تستخدم الدول معمارية السفارات في توجيه رموز ودلالات وطنية وإيديولوجية إلى البيئة الخارجية، إلى جانب جعلها أداة لإضفاء الشرعية وتعزيز هوية الدولة المرسلة على أراضي الدولة المستقبلة. كما يتم استخدام دُور الضيافة الدبلوماسية كأداة لإبراز مكانة الدولة وإثارة الإعجاب بها. أما على المستوى غير الرسمي، فإن الدول خاصة الكبرى منها، تسعى عبر الدبلوماسية العامة للوصول إلى الجمهور الأجنبي بهدف تشكيل مواقفه واستمالته من خلال أساليب عديدة أبرزها المعارض المعمارية.

5- إن هذه المظاهر العلائقية بين الدبلوماسية والعمارة تجعل من الأهمية بمكان أن نوصي بضرورة إيلاء مزيد من الاهتمام والعناية بهذا المجال، من خلال البحث والتحليل العلمي المستفيض.

قائمة المراجع

1- انظر في هذا الشأن: Robert A. Dahl, ⟪The Behavioral Approach in Political Science: Epitaph for A Monument to a Successful Protest, ⟫, The American Political Science Review, vol. 55, No. 4 (Dec., 1961)، pp. 763- 772.

2- المصدر نفسه، ص 766.

3- من ذلك على سبيل المثال: Ralf Pettman, Biopolitics and International Values: investigating liberal Norms, (New York: Pergamon press Inc, 1981).

4- سامر مؤيد عبد اللطيف، «التوظيف السياسي للهندسة الجينية: دراسة في الإمكانيات الواقعية والمستقبلية،»، المستقبل العربي، السنة 35، العدد 410 (ابريل 2013)، ص 12- 13.

5- Basil A. Ekot, ⟪Diplomacy as instrument of good Governance, peace and Security: Lessons from 17 Century French Diplomatic Practice,⟫Vuna Journal of Politics and Diplomatic Studies., Vol. 1 No. 1 June, 2015, p. 2. Accessed May 20, 2024. http://www.researchgate.net/publication/365119806.

6- فاضل زكي محمد، الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، ط 2 (بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد، 1968)، ص 9

7- سموحي فوق العادة، الدبلوماسية الحديثة، ط 1 (بيروت: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، 1973)، ص 1

8- أدونيس العكره، من الدبلوماسية إلى الاستراتيجية: أمثولات من الحرب الباردة، ط 1 (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1981)، ص 16
9- Robert D. Cantor, Introduction to International Politics, (Itasca, Illinois 60143: F.E. Peacock publishers, INC, 1976), p.105
10- ميلود المهذبي، «قراءة في موضوع التفاوض الدولي،» مجلة الدراسات العليا، أكاديمية الدراسات العليا والبحوث الاقتصادية، طرابلس، السنة الأولى، العدد الأول (شتاء 2004)، ص 108
11- Kirsten Bound [et al.], Cultural Diplomacy (London: Demos, 2007), p
12- Basil A. Ekot, ⟪Diplomacy in Quality Management and Administrative Leadership: Application in Contemporary Nigerian Society,⟫ Vuna Journal of History and International Relations., Vol. 2. No. 3. 2018, p. 102. Accessed May 20, 2024.
https://www.researchgate.net/publication/365119965
13- المصدر نفسه، ص 103
14- المصدر نفسه، ص 108
15- SevasteanIanca& Mircea Georgescu, Architecture Notes, "Politehnica" University of Timisoara, p. 2. Accessed June 1, 2024.
http://www.ct.upt.ro/Studenti/cursuri/georgescu/Architecture_Notes.pdf
16- تجدر الإشارة إلى أننا، في هذه الدراسة، نستخدم إجرائيا، مصطلحات: العمارة، الهندسة المعمارية، هندسة العمارة كمترادفات تحمل المعنى نفسه في العديد من السياقات، مع الأخذ في الاعتبار الاختلافات الدقيقة في استخدامها.
17- Simon Unwin, Analysing Architecture, (New York: The Taylor & Francis e-library, 2003), p. 13
18- المصدر نفسه، ص ن
19- المصدر نفسه، ص ن
20- المصدر نفسه، ص 13-17
21- المصدر نفسه، ص 17
22- المصدر نفسه، ص 14
23- المصدر نفسه، ص 16
24- سعاد ساسي بودماغ، «النمطية بين تاريخ العمارة ومنهجية الإبداع،»، المستقبل العربي، السنة 23، العدد 263 (يناير 2001)، ص 135
25- نظير أبو عبيد، «المشهد المكاني كمفهوم سلوكي بيئي في تحليل التواصل ما بين العمارة والمجتمع،»، المستقبل العربي، السنة 22، العدد 248 (أكتوبر 1999)، ص 128

26- روبرت أ. دال، التحليل السياسي الحديث، ترجمة علاء أبو زيد، مراجعة علي الدين هلال، ط 5 (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر [د. ت])، ص 7

27- Unwin, Ibid., p. 17

28- انظر: Cantor, Introduction to International Politics, op. cit., pp: 105-113

29- عطا محمد صالح زهرة، في النظرية الدبلوماسية، ط 1 (بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 1993)، ص 24.

30- انظر: Unwin, Analysing Architecture, op. cit., pp: 17, 167

31- المصدر نفسه، ص 17

32- سعاد بودماغ، «الخطاب المعماري بين الفكر الغربي والفكر العربي الإسلامي،»، المستقبل العربي، السنة 22، العدد 248 (أكتوبر 1999)، ص 114

33- Ekot, 《Diplomacy in Quality Management and Administrative Leadership: Application in Contemporary Nigerian Society,》, op. cit. pp. 102- 103.

34- مشاري عبد الله النعيم، «تحولات الهوية العمرانية: ثنائية الثقافة والتاريخ في العمارة الخليجية المعاصرة،»، المستقبل العربي، السنة 23، العدد 263 (يناير 2001)، ص 98

35- فوق العادة، الدبلوماسية الحديثة، ص 91

36- انظر: Francis D. K. Ching, Architecture: Forms, Space, & Order, 4th ed, (New Jersey: John Wiley & Sons, 2015), pp: 1-3

37- باسل رؤوف الخطيب، «المقومات الرئيسية للمفاوضات الدولية: دراسة نظرية،»، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلد 18، العدد 1 (ربيع 1990)، ص 60

38- المهذبي، «قراءة في موضوع التفاوض الدولي،»، ص 167

39- Unwin, Analysing Architecture, op. cit., p. 167

40- دال، التحليل السياسي الحديث، ص 60

41- حول مفهوم الإقناع العقلاني، انظر، المصدر نفسه، ص 59- 60

42- على سبيل المثال: Jussi Hanhimaki, The Flawed Architect: Henery Kissinger and American Foreign Policy, (New York: Oxford University Press, 2004).

43- زهرة، في النظرية الدبلوماسية، ص 125

44- JuhaniPallasma, The eyes of the Skin: Architecture and the Senses, (England: John Wiley & Sons, 2005), p. 51

45- الحسان بو قنطار وعبد الوهاب معلمي، العلاقات الدولية، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1985)، ص 23- 30

46- العكره، من الدبلوماسية إلى الاستراتيجية: أمثولات من الحرب الباردة، ص 22

47- 47- سامر عكاش، «تنظير العمارة وتجربة الحياة اليومية »»، المستقبل العربي، السنة 22، العدد 248 (اكتوبر 1999)، ص 104

48- بشأن خصائص المعرفة العلمية، انظر: محمد بن عياد، في مناهج البحث، ط (صفاقس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقص، 2007)، ص 23- 27

49- أبو عبيد، «المشهد المكاني كمفهوم سلوكي بيئي في تحليل التواصل ما بين العمارة والمجتمع»، ص 128

50- بشأن مفهوم السلع السياسية، انظر: جبرائيل ألموند، بنجام بويل وروبرت مندت، السياسة المقارنة: إطار نظري، نقلة إلى العربية محمد زاهي بشير المغيربي، ط 1، (بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 1996)، ص 321- 335

51- Bram De Maeyer, Fredie Floré and Anne-Francoise Morel, ⟪Architecture as Diplomatic instrument? The Multi- Layered Meaning of the Belgian Embassy in New Delhi (1947-1983),⟫. Architectural Histories, 9(1): 14, pp. 1- 16. DOI: https://doi.org/10.5334/ah.496

52- المصدر نفسه.

53- المصدر نفسه.

54- بودماغ، «الخطاب المعماري بين الفكر الغربي والفكر العربي الإسلامي»، ص 121.

55- Carnes Lord, ⟪What "strategic" Public Diplomacy Is,⟫ J. Michael Waller, ed., Strategic Influence: Public Diplomacy, Counterpropaganda, and Political Warfare (Washington, DC: The Institute of world politics press, 2008), p. 43

56- Robert R. Rilly, ⟪Conducting a War of Ideas with Public Diplomacy: An insider's View,⟫ in: Waller, ed., Ibid., p. 120.

57- John Lenczowski, ⟪Cultural Diplomacy, Political Influence, and integrated Strategy,⟫ in: Waller, ed., Ibid., p. 82

58- محمد، الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، ص 26

59- النهضة الكارولنجية هو مصطلح يستخدم لوصف الازدهار الثقافي لأوروبا في القرنين الثامن والتاسع تحت حكم الأسرة الكارولنجية.